الخاتمة

عندما تخبر الأصدقاء الطيبين بقولك: لقد كتبت كتاباً فإنهم في العادة يسألون «وما هذا العمل: تاريخي، جغرافي، أثري، دراسات شرقية، أنثروبيولوجي»؟ كيف ستجيب إذن؟

تريد أن تجيب، لا بل عليك أن تجيب، وها أنا أسعى لإيجاد الرد الواضح «Je prend mon bien ou je le trouve أخذ الجيد حيث أجده».

كل ما يعمل لإيضاح المسألة المطروحة يدخل في الموضوع وهذا بالذات يعني المؤلفات نفسها تلك الجسور عينها التي تربط بين العلوم التي قال عنها العالم بالعلوم الطبيعية الروسي المشهور كارل بئير: إن المفاضلة بين العلوم تقودها إلى مأزق إذا لم تترافق بالتكامل الذي تستخدم لأجله كل المعلومات التي يمكن جمعها حتى لو تم الحصول عليها من علماء آخرين، فالبيت يبنى من الآجر والعوارض الفولاذية والجذوع والألواح وصفائح السقوف... الخ والذي يقيم الجدران يستخدم مواد جاهزة ولكن عمله يقدر ليس أقل من العمال في مصنع الآجر وعمال الميتالورجيا في أفران الأورال العالية وقاطعي الأخشاب والنجارين.

وكذلك أنا والمعلومات التاريخية المأخوذة من المصادر الكتابية الجغرافية من الأعمال المعممة بالجغرافيا والأعمال الأثرية من مقالاتي الشخصية هكذا كما لو كانت من أعمال مؤلف آخر. نعم لقد أصبحت غريبة عني لأنها صارت بعد النشر تحيا حياتها المستقلة.

وماذا تبقى؟ فقط الذكريات عن التجوال في الصحارى وعبر القرون هذا الملاط الذي يربط جميع المعارف والمعلومات والتداعيات التي ولدت خلال خمس سنوات من الأعمال.

ولهذا السبب سميت مؤلفي - سيرة حياة اكتشاف.